دور الحروف المشبهة بالفعل في البناء الفني في شعر أبي تمام

أ.م.د. وليد عادل علي

كلية الأمام الأعظم الجامعة / أقسام كركوك

dwaleedalsabawy@gmail.com

الملخص:

كثر استخدام الحرف المشبه بالفعل في شعر أبي تمام وكانت فوائده كثيرة مع توظيفه في المعاني التي يستوجبها البيت الشعري، فكان هناك أغراض عديدة كالرثاء والهجاء والمديح والغزل فأدت الأحرف المشبهة بالفعل الغرض وتفي بالمعنى.

وقد كثرت الشواهد وكانت بإحساس وعاطفة الشاعر فكان يوصل الفكرة المرجوّة من خلال الأحرف المشبهة بالفعل.

وقد خرج البحث بنسق علمي متكامل ومتوافق مع الشروط العلمية التي تناولت معاني الأحرف المشبهة والفوائد التي خرج إليها كل حرف من الحروف المشبهة بالفعل مع اختلاف الأغراض الشعرية وتنوعها.

الكلمات المفتاحية: (الحروف المشبهة بالفعل، البناء الفني، شعر أبي تمام).

The role of letters similar to the verb in the artistic structure of Abu Tammam's poetry

A.M.D. Walid Adel Ali

Imam Al-A'zam University College / Kirkuk Departments

dwaleedalsabawy@gmail.com

ABSTRACTS:

The letter similar to the verb was widely used in Abu Tammam's poetry, and its benefits were many when used in the meanings required by the poetic line. There were many purposes such as lamentation, satire, praise, and flirtation, so the letters similar to the verb served the purpose and fulfilled the meaning.

There was a lot of evidence and it was with the feeling and emotion of the poet, so he conveyed the desired idea through letters similar to the verb.

The research came out with an integrated scientific format that was compatible with the scientific conditions that dealt with the meanings of the ambiguous letters and the

benefits that each of the ambiguous letters actually yielded, despite the difference and variety of poetic purposes.

Keywords: (letters similar to the verb, artistic structure, poetry of Abu Tammam).

توطئة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق وسيد المرسلين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما بعد..

فإننا سنتناول في هذا البحث معاني الحروف المشبهة بالفعل وفائدتها وتوظيفها في الجمل والتراكيب، إضافةً إلى الدور الذي تقوم به في الشعر وتحديداً في شعر أبي تمام الذي اتسم بالحماسة والحكمة وغيرها.

ولا بد من توظيف هذه الحروف في خدمة المعاني الفنية والبلاغية، وكيفية البناء الفني الذي تعمل عليه في شعر أبي تمام، فلا سبيل من توظيف الشواهد الشعرية التي قالها أبو تمام وتحليلها بالاعتماد على دراسة علمية وفنية دقيقة.

كما أن عمل تلك الحروف له فوائد ومنافع تعود على اللغة العربية عامةً والشعر خاصةً وإننا من خلال هذا البحث سنقدم تلك الفوائد ونعرضها بأسلوب علمي جديد من خلال شعر أبي تمام الذي استخدم فيه الحروف المشبهة بالفعل.

فيكون المنهج المعتمد هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الحدث القائم في الشاهد وتحليله بركيزته الأساسية ألا وهي الحروف المشبهة بالفعل.

لنختتم البحث بعد ذلك بجملة من النتائج والتوصيات التي لا بد من استخلاصها في نهاية البحث وختام الدراسة.

آراء علماء النحو في دور الأحرف المشبهة بالفعل:

تعد **إنّ** وأخواتها من الحروف الناسخة التي تدخل على الجملة الاسمية، فتنصب الاسم ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها وهي بذلك تعمل خلاف ما تعمل كان.

"إنما قيل الأحرف ولم يقل الحروف؛ لأن الموضع موضع قلّة، وقول سيبويه وغيره الحروف من باب وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة."

ويذكر ابن هشام في كتابه:

"هذا باب الأحرف الثمانية، فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها."[١]

ويذكر أيضاً أن هذه الحروف لا تدخل على جملة يجب فيها حذف المبتدأ، كما لا يخرج عن الابتدائية مثل ما التعجبية، كما لا تدخل على مبتدأ يجب له التصدير أي الوقوع في صدر الجملة كاسم الاستفهام ويستثنى من ذلك ضمير الشأن فإنه مما يجب فيه التصدير.[٢]

ويقول ابن مالك في كتابه:

إنَّ أنَّ ليتَ لكنَّ لعلَّ. كأنَّ عكسُ ما لِكانَ منْ عمَلْ

ك إنَّ زيداً عالمٌ بأنِّي. كُفْءٌ ولكنَّ ابنَهُ ذُو ضِغْنِ

ويقول:

"هذا هو القسم الثاني من الحروف الناسخة للابتداء، وهي ستة أحرف: إنَّ، أنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليتَ، لعلَّ.

وعدّها سيبويه خمسة، فأسقط إنَّ المفتوحة لأن أصلها إنَّ المكسورة."[٣]

"وهذه الحروف تعمل خلاف عمل كان، فتنصب الاسم وترفع الخبر نحو (إنَّ زيداً قائمٌ) فهي تعمل في الجزأين وهذا مذهب البصريين، وذهب الكوفيون إلى أنها لا عمل لها في الخبر، وإنما يبقى على الرفع الذي كان له قبل دخول إنَّ وهو خبر المبتدأ."[٤]

وعند عباس الحروف سبعة حيث يقول:

"إن الحروف الناسخة سبعة أحرف وهي إنَّ بكسر الهمزة وتشديد النون، وأنَّ بفتح الهمزة مع تشديد النون، لكنَّ بتشديد النون، كأنَّ بتشديد النون، ليتَ، لعلَّ، لا"[٥]

ويذكر: "إن كل واحد من هذه الأحرف السبعة يدخل على المبتدأ والخبر بأنواعهما وأحوالهما، فيسبب تغيير في الاسم، وفي ضبط آخرها بحيث يصبح المبتدأ منصوباً ويسمى اسم الحرف الناسخ، ويبقى الخبر مرفوعاً ويسمى خبر الحرف الناسخ، ولا يصح أن يكون اسم الحرف الناسخ شبه جملة."[٦]

ويذكر ابن الأنباري في كتابه أسرار العربية في سبب إعمال هذه الأحرف:

"بأنها أشبهت الفعل في خمسة أوجه: أنها مبنية على الفتح كما أن الفعل الماضي مبني على الفتح، أنها على ثلاثة أحرف كما أن الفعل على ثلاثة أحرف، أنها تلزم الأسماء كما أن الفعل يلزم الأسماء، أنها تدخل عليها نون الوقاية كما تدخل على الفعل نحو (إنَّني، كأنَّني، لكنَّني) كما أنها تنصب الاسم وترفع الخبر، وأنها تشبه الفعل الذي يرفع وينصب شبهت به فتصبت الاسم تشبيهاً بالمفعول ورفعت الخبر تشبيهاً بالفاعل."[٧]

من خلال قول ابن الأنباري يظهر لنا أن هنا أوجه شبه بين الفعل وهذه الأحرف، وهي أن كل منهما مبنياً على الفتح وأنها مكونة من ثلاثة أحرف فأكثر، وكذلك الفعل، وأنها تدخل على الاسم

وكذلك الفعل ويجوز دخول نون الوقاية على كل منهما، وهي تنصب الاسم وترفع الخبر والفعل يرفع الفاعل وينصب المفعول به.

معاني الأحرفِ المشبّهةِ بالفعلِ:

- إنَّ – أنَّ: التوكيد.

مثل:

إنَّ الحقَّ ظاهرٌ.

عرفْتُ أنَّكَ ذكيٌّ.

- كأنَّ: التشبيه.

مثل: كأنَّ الشمسَ برتقالةٌ.

- لكنَّ: الاستدراك.

مثل: الدبُّ ضخمٌ، لكنَّ الفيلَ أضخمُ.

- ليتَ: التمني.

مثل: ليتَ الشبابَ يعودُ.

- لعلَّ: الترجّي.

مثل: لعلَّ المريضَ يُشفى.[٨]

أنواعُ خبرِ الأحرفِ المشبّهةِ بالفعلِ:

1 – اسم مفرد:

مثل: إنَّ عَمْراً جالسٌ.

2 – جملة:

أ– جملة اسمية:

مثل: ليتَ الشجرةَ (ثمارُها ناضجةٌ).

ب–جملة فعلية:

مثل: لعلَّ المعلّمَ (يشرحُ) الدرسَ.

3 - شبه جملة:

أ- جارّ ومجرور:

مثل: كأنَّ البيضَ في السلّةِ.[٩]

ب-مفعول فيه:

1) ظرف زمان:

مثل: علمْتُ أنَّ الاحتفالَ يومَ الاثنين.

2) ظرف مكان:

مثل: إنَّ القطَّ تحتَ السيارةِ.[١٠]

دور الحروف المشبهة بالفعل في البناء الفني في شعر أبي تمّام:

كثر استخدام الحروف المشبهة بالفعل في شعر أبي تمّام وكانت تدل على معانٍ مختلفة وفق السياق، كما كان أبو تمّام يوظفها لأداء أدوار مختلفة ساعدت في عملية البناء الفني للشعر بما في ذلك الإيقاع والنغم الموسيقي، فقال أبو تمّام يمدح محمد بن يوسف:[١١]

غفلاتِ الشّبابِ بُرداً قُشيباً وكعاباً كأنّما ألبستْها.

استخدم الشاعر في هذا البيت الحرف المشبه بالفعل (كأنّ) لكنه ادخل إليها (ما) لتصبح كافة ومكفوفة لا عمل لها في نصب الاسم ورفع الخبر، إلا أن كان لها دور في البناء الفني من جهة تشبيه الكعاب بأنه يتم إلباسها بغفلات الشباب برد، فاحتوى المعنى على بلاغة فنية من صنيع أبي تمّام جذبت المتلقي بعبق الفن البلاغي باعتبار كأنّ تفيد التشبيه.

كما قال شاعرنا يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسن بن مصعب:[١٢]

أَلَمْ تعلَى أنَّ الزّماعَ على السّرَى. أخُو النّجحِ عندَ الحادثاتِ وصاحبُهُ

استخدم الشاعر في البيت السابق الحرف المشبه بالفعل (أنَّ) والذي يفيد التوكيد فكان له دور ها هنا في البناء الفني للبيت بكامله من حيث تأكيده على فكرة أن الزماع على السرى تكون صائبة وناجحة ودقيقة.

وقال أيضاً في قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه:[١٣]

ضمَّ الفتاءَ إلى الفتوّةِ بردُه. وسقُوهُ وسمّى الشّباب الصّيبُ

وصفًا كما يصفُ الشّبابُ وإنَّهُ. في ذاكَ منْ صبغِ الحياءِ لمشربُ

استخدم الشاعر في هذا البيت الخرف المشبه بالفعل (إنَّ) والذي أفاد توكيد معنى صفة الحياء في الشاب الذي أهداه إياه للحسن بن وهب، فكان قد اعتكد على فن بلاغي يجذب المتلقي ولا سيما في أسلوب المدح.

وجاء قائلاً:[١٤]

يتغطّى عنهمُ ولكنّهُ تن. صّلَ أخلاقه نصولَ المشيبِ

نلاحظ في هذا البيت اعتماد الشاعر على الحرف المشبه بالفعل (لكنَّ) والذي افاد استدراك الحدث، فكان يقول أنه يتغطى عنهم لكن سرعان ما استدرك الحدث وقال أن أخلاقه تتنصل كنصول المشيب، فكان معانيه بلاغية فنية تستدعي الذائقة الفنية وتستحضرها.

وقال في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:[١٥]

شرفٌ على أولى الزّمانِ وإنَّما خلقُ المناسبَ ما يكونُ جديدا

استخدم شاعرنا الحرف (إنَّ) وهو حرف مشبه بالفعل لكنه أدخل عليه (ما) لتصبح كافة ومكفوفة لا عمل لها، إلا أن فكرة توكيد المعنى الفني البلاغي مازالت حاصرة في البيت من حيث تأكيد وجود الأخلاق الحميدة منذ أزمان بعيدة وليست هي أمور جديدة على هذا الزمان، فعرض هذه الفكرة بطريقته الفنية ووسيلته في ذلك كانت (إنّ).

كما قال مادحاً النصح والإرشاد والإنقاذ في أبي المغيث موسى بن إبراهيم فيقول:[١٦]

فكأنّهم بالعجلِ ضلُّوا حقبةً. وكأنَّ موسى إذا أتاهمْ موسى

اعتمد الشاعر في هذا البيت على الخرف المشبه بالفعل (كأن) فاستخدمه مرتين للتركيز على عنصر التشبيه، فاستخدامه الأول كان للجمع حيث شبّه القوم بأنهم تاهوا وضاعوا في الزمن كضياع العجل، وأما الاستخدام الثاني فكان للمفرد حيث ذكر سيدنا موسى عليه السلام في قصته مع العجل الذي تم ذبحه في ذاك العصر، فكان يستحضر الزكن الماضي باستخدام الحرف المشبه بالفعل (كأن) وفي هنا يكمن دوره من الناحية الفنية التي تلفت انتباه المتلقي.

ويقول في رثاء ولدين صغيرين لعبد الله بن طاهر حيث وقف على فجأة الموت التي تحرم الحياة فقال:[١٧]

إنَّ الفجيعةَ بالرّياضِ نواضراً. لأجلُ منْها بالرّياضِ ذوابلا

لهفِي على تلكَ الشّواهدِ فيهِما. لَو أمهلتَ حتّى تكونَ شمائلا

لغدَا سكونُهما حجىً وصباهُما. حلماً وتلكَ الأريحيّةِ نائلا

ابتدأ شاعرنا أبو تمام هذا المقطع بالحرف المشبه بالفعل (إنّ) والذي يفيد معنى التوكيد، وفي ذلك إشارة إلى أنه أراد توكيد كل ما قال في المقطع وليس ما ورد في البيت فقط، فيصف المصيبة التي

حدثت في الرياض وهي موت طفلين صغيرين لعبد الله بن طاهر، فلجأ إلى الرثاء بتوكيده لفاجعة الأمر وصعوبته واستحالة الصبر لولا قدرة الله تعالى.

كما قال في الأبيات التي رأى فيها ولداً صغيراً وهو يحتضر:[١٨]

إنّي أظنُّ البلى لو كانَ يفهمُه. صدَّ البِلى غن بقايا وجههِ الحسنِ

يا موتةً لم تدعُ ظرفاً ولا أدباً. إلّا حكمَتْ بهِ للّحدِ والكفنِ

للهِ ألحاظُهُ والموتُ يكسرُها. كأنَّ أجفانَه سكرى من الوسنِ

يردُّ أنفاسَهُ كرهاً وتعطفهَا. يدُ المنيّةِ عطفَ الرّيحِ للغصنِ

استخدم أبو تمّام في هذا المقطع أكثر من حرف مشبه بالفعل وذلك لما تقتضيه الضرورة المعنوية واللغوية، فابتدأ بتوكيد الحدث باعتماده على الحرف المشبه بالفعل (إنّ) فيؤكد ما يقوله في استحضار الطفل من غفلته عما يحدث معه من بلاء فهو طفل ولا يفقه بتلك الأحداث التي تصيبه عند الموت، فهذا هو الموت لا يعرف الظروف ولا ينظر لصاحبه، فاعتمد على تصوير فني رسم الحدث جعل المتلقي يتعايش مع المشهد وكأنه عنصر رئيسي فيه.

أما الحرف المشبه الثاني الذي اعتمد عليه أبو تمّام في هذا المقطع فهو (كأنّ) التي تفيد التشبيه، فشبه اجفان الطفل في حالة استحضار الموت لأجفان المرء في حالة النعاس وأول النوم، فلا قدرة له على التحكم بها إذ خرجت عن سيطرته وآثرت إغماض العين.

ففي كلتا الصورتين أراد الشاعر أن يوصل الحدث للمتلقي بكل تفاصيله فنجح في ذلك مستخدماً الأحرف المشبهة بالفعل التي أفادت التوكيد والتشبيه بإيقاع لغوي وموسيقي عذب يستعطف فؤاد القارئ.

وقال في ذكره للحنين إلى الموت في رثائه لقحطبة:[١٩]

حنَّ إلى الموتِ حتّى ظنَّ جاهلَهُ. بأنّه حنَّ مشتاقاً إلى وطنِ

أراد الشاعر في البيت السابق أن يوصل للمتلقي فكرة الحنين للموت فلجأ إلى الرثاء أولاً وإلى الحرف المشبه بالفعل (أنّ) ثانياً، وكان دور الحرف في هذا البيت فنياً إلى حدٍّ بعيدٍ حيث أشار إلى أن قحطبة كان يحن لوطنه ووطنه اليوم هو الموت، فكانت الصورة بلاغية عذبة تنقل المتلقي إلى عوالم التخيل والتفكر.

ومن قصائده التي تتمثل فيها قضية الموت في صورتها المثلى في تصوير اليأس والحزن قصيدته في رثاء ابنه، تلك القصيدة التي تعامل فيها أبو تمام تعاملاً جيداً مع الزمن بمراحله المتعددة الماضي والمضارع والمستقبل، يقول في بعض أبياتها:[٢٠]

كانَ الّذي خفتُ أنْ يكونَا إنّا إلى اللهِ راجعُونا

أمسى المرجى أبو على مؤسداً في الثرى يمينا

ابتدأ الشاعر بيته بالظن والتشبيه، حيث استخدم الحرف المشبه بالفعل (كأن) فهو لم يدخل في ميادين الصحة مما هو خائفٌ من حدوثه وتحققه بل ظل على شواطئ التردد وعدم اليقين، وسرعان ما انتقل لخبر جديد هو يناقض الخبر الذي سبقه من وجهة ظن الشاعر، إذ كان هذا متأكداً منه إلى درجة اليقين القاطع وكان هذا الأمر هو كون البشر جميعاً عائدون إلى الله تعالى وأن الموت قدر لا مفر منه، وفي ذلك استخدم الحرف المشبه بالفعل (إنّ).

ومن قصائد الشاعر التي تحتوي على مشاعر صادقة وأحاسيس متدفقة بالحب الصادق، وقوله من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق، وقد ضمنه بعض مفردات الزمان (ليلتنا، شمس، ليلة) حيث قال:[٢١]

قالتْ وقدْ أعلقَتْ كفى كفِّها. حلا وما كلُّ الحلالِ بطيبِ

فنعمت من شمسٍ إذا حجبتْ بدتْ. منْ نورِها فكأنّها لم تحجبِ

استخدم الشاعر في هذا البيت الحرف المشبه بالفعل (كأنّ) والذي يفيد التشبيه، ولأن التشبيه يعني البلاغة والفن اللغوي فإن هذا الحرف مان له دوره الفني في رسم صورة عدم حجب الشمس التي هي عمر بن طوق، فكان المديح هنا قائم على ركيزة فنية بلاغية ودعامة لغوية متينة.

ويشير الدكتور عبده بدوي إلى أن أبا تمام كان يحكم عقله تحكيماً شديداً في عاطفته بحيث يخرجها من البشاشة والبراءة والعفوية إلى عالم الترتيب والتقسيم والتساؤل والتلاعب بالكلام مما يفقد التجربة المثير من حرارتها وظلالها، كقوله من قصيدة يمدح فيها المأمون وقد استعان ببعض مفردات الزمان مثل (الزمان، أعوام، أيام، السنون) حيث قال:[٢٢]

ولقد أراك فهل أراك بغبطةٍ. والعيشُ غضٌّ والزّمانُ غلامُ؟

أعوامَ وصلٍ كان ينسى طولُها. ذكرُ النّوى فكأنّها أيّامُ

ثم انبرى أيّام هجرٍ أردفَت. بجوىً أسىً فكأنّها أعوامُ

ثم انقضَت تلك السّنون وأهلها. فكأنّها وكأنّهم أحلامُ

شبّه الشاعر الأعوام المديدة في هذه الأبيات بأنها أيام قليلة لا يمكن نسيانها لشدة جمالها وكثرة ذكرياتها في الوصل والقرب من الممدوح، فاستخدم الحرف المشبه بالفعل (كأن) الذي يؤدي الغرض بدقة ووضوح، وأما عن الأيام القليلة التي شهدت هجران الشاعر وبعده عن الممدوح فكان يشعر بأنها سنين طويلة من شدة الالم والشوق، وكان قد استخدم أيضاً هنا الحرف المشبه (كأن) الذي رسم الحدث ونقل المتلقي لعوالم الأسى، واختتم المقطع بقوله أن تلك السنين والممدوح مضوا

وكأنهم كانوا أحلام خيالية لا واقع جمعه بهم، ومن خلال ذلك كان الحرف المشبه بالفعل يربط بين الأحداث على تناقضها واختلافها فيخرج الحدث دقيقاً واضحاً للمتلقي.

كما قال أيضاً:[٢٣]

لا تنشجنّ لها فإنّ بكاءها. ضحكٌ وإنَّ بكاءكَ استغرامُ

هنّ الحمام فإنْ كسرتَ عيافة من حائهنّ فإنهنّ حِمامُ

يؤكد الشاعر في البيت الأول بأن بكاء المحبوبة ما هو إلا ضحك واستهزاء وفيه نفاق، أما بكاء المحبوب فيؤكد بأنه نابع من حبه للمحبوبة وغرامه لها، فعلى اختلاف المعنى كانت دور الحرف المشبه بالفعل (إنّ) هو التوكيد والتأكيد وكان دائما يفي بالغرض ويؤدي المعنى المطلوب بطريقة تجذب المتلقي وتدخله في طيات المشهد.

أما في البيت الثاني فإنه يؤكد على كون النساء حمام، فيرسم الحدث وينقله للمتلقي بصورة واقعية دقيقة وتناغم موسيقي فيه رهافة حس.

ومن نماذج الشاعر التي جمع فيها بين المدح والهجاء قوله بمدح خالد بن يزيد ويهجو رجلاً فاخره لما عزل عن الثغور:[٢٤]

لم تنتفضْ عروةٌ منهُ ولا سببُ. ولكنَّ أمر بني الآمالِ ينتقضُ

بدأ الشاعر البيت بمدح خالد بن يزيد باعتباره رجل كامل لا عيب فيه ولا نقص، إلا أنه سرعان ما استدرك الحدث بالحرف المشبه بالفعل (لكنّ) ليهجو رجلاً آخر بأنه ناقص وفيه مذمة وعيب.

ولقد تنقلت مخيلة أبي تمام من الثبات إلى الحركة، ولم تقف عند حدود السماع والعيش على القراءة بل تخطت ذلك وكانت مخيلته بصرية تبحث عن حيوية الصورة وفاعليتها في إطار من الزمن وفي إطار الاتكاء والارتكاز على مفرداته، ولننظر مثلاً إلى قوله يصف الخمر:[٢٥]

عنبية ذهبية سبكت لها. ذهب المعاني صاغة الشعراء

أكل الزمان لطول مكث بقائها. ما كان خامرها من الأقذاء

صعبت وراض المزج سيئ خلقها. فتعلمت من حسن خلق الماء

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

وكأنّ بهجتها وبهجة كأسها. نار ونور قيدا بوعاء

استخدم الشاعر الحرف المشبه بالفعل (أنّ) ليؤكد أن هناك أناس وصفوا الخمر بأنه جوهر الأشياء وهذه فكرة مؤكدة وركز عليها بالحرف المشبه بالفعل ليجعل القارئ أيضاً متأكداً من تلك الفكرة.

وفيما بعد شبّه بهجة الخمر وبهجة الكأس الذي يحتويها بالنار والنور الذي تم تقييدهما بوعاء، واستخدم لهذه الصورة الحرف المشبه بالفعل (كأن) فخرج المعنى لطيفاً على السمع قريباً من القلوب، يجذب المتلقي بنغمة موسيقية وإيقاع فني بلاغي رقيق.

ولما كان الشاعر عاجزاً عن التمتع بالطبيعة وما تشمله من سحر جميل ومناظر خلابة فقد دعا طائرين أن يتمتعا بها قال:[٢٦]

يا طائران تمتعا هنيتما. وعما الصباح فإنّني مجهود

أكد الشاعر في هذا البيت كيفية كونه مجهود وقد بلغه الجهد والتعب من خلال اعتماده على الحرف المشبه بالفعل (إنَّ) وفائدته التوكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، فكان أبو تمام قادراً على المجيء بمعاني تأتي بذائقة القارئ إلى حدود شعره وبلاغته الفنية.

وإذا كان الشاعر قد دعا الطائرين ليتمتعا بالطبيعة ويمرحا في جنباتها فقد وجه تلك الدعوة إلى صاحبيه أن يرنوا بنظريهما في الطبيعة وبخاصة حين يكون ذلك في فصل الربيع، وقد استخدم من مفردات الزمن ما يناسب الحديث عن ذلك كقوله (نهاراً مشمساً، الربيع، أضحت) حيث قال[٢٧]:

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنّما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى إذا جلى الربيع فإنما هي منظر

اعتمد شاعرنا في الأبيات السابقة على الحرف المشبه بالفعل (كأن) ليفيد التشبيه والتصوير ولكنه أدخل إليه (ما) لتصبح كافة ومكفوفة، فشبه النهار المشمس بأنه مقمر لأن زهر الربا قد تخلل إليه، فكانت الصورة الفنية التي رسمها في عظمة من الإبداع والبلاغة التي رسمت في عقول القرّاء المشهد المستوحى من الخيال وكأنه واقع لا مفر منه.

كما استخدم الحرف المشبه بالفعل (إنّ) الذي يفيد التوكيد كما أدخل إليه (ما) لتصبح كافة ومكفوفة لا عمل لها، إلا أنها ركزت وأكدت على فكرة كون الحدث مجرد منظر لا حقيقة فيه، فالدنيا هي منظر.

وكان قد وصف الشتاء بقوله (شتامة الوجه) حيث قال:[٢٨]

إنّ الشتاء على شتامة وجهه. لهو المفيد طلاقة المصطاف

وصف الشاعر في هذا البيت الشتاء باستخدامه للحرف المشبه بالفعل (إنّ) فوصفه بشتامة الوجه وأكد ذلك الوصف وركز عليه لينتقل إلى ذهن المتلقي بالمعنى ذاته والتركيز نفسه، وكان ذلك رسماً بلاغياً عميقاً حيث جعل للشتاء وجه وفي ذلك تشخيص وإطلاق صفات إنسانية للجمادات.

وقال يصف أحوال الدهر ويشير إلى أنه يظلم ولكنه أقرضه الإحسان قم انقضى فيقول:[٢٩]

أسخطني دهري بعد الرضا وارتجع العرف الذي قد مضى

لم يظلم الدهر ولكنّه. أمرضني الإحسان ثم اقتضى

رسم الشاعر في البيت السابق صورة عدم ظلم الدهر، لكنه سرعان ما استدرك الحدث باستخدام الحرف المشبه بالفعل (لكنّ) الذي أتبعه بفكرة أن الإحسان قد سبب له المرض وبعد ذلك انتهى وغادر عنه، فكان دور الخرف المشبه بالفعل في هذا البيت قائم على دعامة فنية ألا وهي تشبيه الإحسان بأنه ينتهي وينقضي وكأنه زمان.

وقال الشاعر في قصيدة فتح عمورية:[٣٠]

كأنّ جلابيب الدجى رغبت. عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

استخدم الذاعر في هذا البيت الخرف المشبه بالفعل (كأن) حيث شبه جلابيب الدجى بأنها إنسان يرفض اللون الذي هو عليه، كما شبّه الشمس بأنها إنسان لا يغيب ولا ينقضي، وفي الصورتين كان هناك دور فني بلاغي غايته رسم ملامح الإبداع في ذهن المتلقي وجعله يحاكي الحدث ويتعايش معه.

وقال في قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:[٣١]

ولما رأى توفيل راياتك التي. إذا ما استقامت لا يقاومها الصلب

تولى ولم يأل الردى في اتباعه. كأنّ الردى في قصده هائم صبُّ

استخدم الشاعر في البيت السابق الحرف المشبه بالفعل (كأنّ) الذي اعتمد فيه على تشبيه الردى بأنه كلئن يهيم وتصيبه الصبابة، وفي ذلك تشخيص للجماد الذي يجعل المتلقي يتعايش مع الحدث وكأنه عنصر أساسي في المشهد وكائن بين ثنايا تفاصيله.

وللزمان نصيب من استعارات الشاعر فقد جعله يسوس ويقود الناس، ويعوق رضيع الجود ويبدي أنيابه للناس ويصفه بأنه بخيل وأن له وجهاً كلحاً، فيقول:[٣٢]

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة. سدىً لم يمسسها قط عبد مجدع

عاق الزمان رضيع الجود لم يقه. أهل ولم يفده مال ولا ولد

كان الذي يتقى ريب الزمان به. إذا الزمان بدت أنيابه العصل

هيهات لا يأتي الزمان بمثله. إن الزمان بمثله لبخيل

وإنّك إنْ صد الزمان بوجهه. لطلق ومن دون الخليفة باسل

اعتمد الشاعر في الأبيات السابقة على حرف مشبه بالفعل واحد ألا وهو (إنّ) الذي يفيد التوكيد، ففي الاستخدام الأول أكد على بخل الزمان وكأنه إنسان أطلقوا عليه صفة البخل، فكان الدور الفني في هذا البيت يقوم على جعل المتلقي يتخيل الزمان ككائن بخيل فيحاكي الحدث ويتفكره.

أما الاستخدام الثاني للحرف المشبه بالفعل (إن) فهو له وجه كليح في حال صده الزمان وعانده، فيبدأ المتلقي بالتخيل والتأمل لذاك الحدث وكأنه ماثلٌ أمامه بلا غموض ولا حواجز.

الخاتمة:

نتوصل في ختام البحث إلى أن الحرف المشبه بالفعل كثرت استخداماته وكثرت فوائده وفقاً للمعاني التي يقتضيها البيت الشعري، ولا سيما في شعر أبي تمّام الذي نوّع بين الأحرف في عرضه للأحداث المتنوعة.

فكان هناك أغراض عديدة كالرثاء والهجاء والمديح والغزل وكانت الأحرف المشبهة بالفعل تؤدي الغرض وتفي بالمعنى على تنوعه وتعداده بلا عوائق ولا حواجز.

كما كانت الشواهد متدفقة بروح الإحساس وعاطفة التغني بالمشاعر الصادقة والتي كانت توصل فكرتها المرجوّة من خلال الأحرف المشبهة بالفعل.

فخرج البحث بنسق علمي متكامل ومتوافق مع الشروط العلمية التي تناولت معاني الأحرف المشبهة والفوائد التي خرج إليها كل حرف من هذه الحروف مع اختلاف الأغراض الشعرية وتنوعها.

آملين أن تكون النتيجة تليق بجهد باحث وأن يكون ختامها التوفيق والنجاح.

النتائج:

- تضمين شعر أبي تمّام لشواهد فيها أحرف مشبهة بالفعل.
- كثرة استخدام الأحرف المشبهة بالفعل على اختلاف الأغراض الشعرية.
- اشتمال شعر أبي تمّام على ذخيرة من المعاني التي وظفتها الأحرف المشبهة بالفعل.
- تنوع المعاني اللغوية التي أكدها الحرف المشبه بالفعل (إنّ، أنَّ).
- تنوع المعاني اللغوية التي استدركها الحرف المشبه بالفعل (لكنَّ).
- كثرة الشواهد الشعرية التي تضمنت الحرف المشبه بالفعل (كأنَّ).
- إفادة معنى التشبيه الذي قدمه الحرف المشبه بالفعل (كأنَّ).

التوصيات:

- تسليط الضوء على المعاني اللغوية التي يتضمنها شعر أبي تمّام.
- توجيه اهتمام الدارسين للأغراض الشعرية التي توظفها الأحرف المشبهة بالفعل.
- تخصيص أبحاث علمية لدراسة معاني الأحرف المشبهة بالفعل.
- دراسة كل غرض شعري رسمت حدوده الأحرف المشبهة بالفعل.
- تحديد الفوائد اللغوية والفنية التي يقدمها الحرف المشبه بالفعل.
- دراسة البناء الفني للأحرف المشبهة بالفعل في شعر جميع العصور.

الهوامش والمراجع:

[١] ابن هشام: أوضح المسالك: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار النهضة: القاهرة: ١٩٨٣م: ص ٢٩٢.

[٢] ابن عقيل: شرح ابن عقيل: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار إحياء التراث: بيروت: ١٩٦٧م: ص ٣١٢.

[٣] محمد البقاعي: حاشية الخضري: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٩٩١م: ص ٢٥١.

[٤] ابن عقيل: شرح ابن عقيل: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار إحياء التراث: بيروت: ١٩٦٧م: ص ٣١٩.

[٥] عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح التكملة: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار النهضة: القاهرة: د. ت: ص ٤٥٤.

[٦] عباس حسن: النحو الوافي: الجزء الأول: الطبعة: ١٥: دار المعارف: القاهرة: د. ت: ص ٣٦١.

[٧] عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري: أسرار العربية: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت: ١٩٩٩م: ص ١٢١.

[٨] محمد البقاعي: حاشية الخضري: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٩٩١م: ص ٢٥٥.

[٩] عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين الأنباري: أسرار العربية: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت: ١٩٩٩م: ص ١٢٣.

[١٠] عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح التكملة: الجزء الأول: الطبعة الأولى: دار النهضة: القاهرة: د. ت: ص ٤٥٥.

[١١] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٦٣.

[١٢] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ١١٤.

[١٣] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ١٠٠.

[١٤] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٩٤.

[١٥] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٢٥٥.

[١٦] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ٢٦٩.

[١٧] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ١١٤ و ١١٥.

[١٨] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الرابع: ص ١٤٦.

[١٩] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الرابع: ص ١٤٠.

[٢٠] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الرابع: ص ٦٧٧.

[٢١] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٩٤ و٩٦.

[٢٢] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثالث: ص ١٥١.

[٢٣] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثالث: ص ١٥٢.

[٢٤] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ٢٨٤.

[٢٥] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ٢٩.

[٢٦] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثالث: ص ١٤٨.

[٢٧] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ١٩٤.

[٢٨] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ٣٩٢.

[٢٩] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الرابع: ص ٥١٧.

[٣٠] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٢٠.

[٣١] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الأول: ص ٧٩.

[٣٢] أبو تمام: شرح ديوان ابي تمام: الجزء الثاني: ص ٣٢٤.